

أبو بكر بن مجاهد

ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية

للدكتور عبد الفتاح شلبي

سنة خمس وأربعين ومائتين من الهجرة^(١) وفي سوق العطش ببغداد ، ولد لموسى بن العباس بن مجاهد التميمي ولد اسماء « احمد » وقد هيا الله سبحانه وتعالى لاحمد بن موسى خيراً كثيراً ، ووجهه في نشأته ودراسته إلى أن يصير وهو في سن الأربعين أعلم الناس في عصره بكتاب الله^(٢) ، وآخر ما انتهت اليه رئاسة الإقراء في مدينة السلام^(٣) ، وأن يدرأ عن القراءات مزلات كانت توشك ان تقع فيها^(٤) ، فكان بحق كما يقول ابو شامة عنه « شيخ الصنعة ، وأول من سبع السبعة »^(٥) .

الإسلامية حيث الأئمة القراء : بمكة والمدينة ، والكوفة والبصرة . . فاتصل سنده بالحرَمَينِ : ابن كثير ، ونافع ، وبالكوفيين : عاصم ، وحمزة ، والكسائي^(٦) ، وبإمام البصرة أبي عمرو ابن العلاء ، وشيخ الإقراء بالشام أبي الدرداء .

ولم تتم هذه المنزلة السامية ، وتلكم المكانة العالية إلا بعد جهد وبذل ومشقة ومعاناة في طلب العلم ، والرحلة في سبيله ، واختلاف إلى شيوخ القراءات في عصره ، لا في موطنه بغداد فحسب ؛ بل في جميع الأمصار

(٥) طبقات القراء ١/١٤٢ .

(٦) تقريب النفع في القراءات السبع للشيخ علي محمد الضباع .

(١) طبقات القراء ١/١٤١ .

(٢) السبعة لابن مجاهد (التقديم) .

(٣) الفهرست لابن النديم .

(٤) تقديم شوقي ضيف للسبعة ص ٢٤٠ .

ذكوان^(٦) .

« وكان ابن مجاهد مع فضله وعلمه وديانته ، ومعرفته بعلوم القرآن ، وتبحره في القراءات ، ورواية الحديث وتمكّنه في الدراسات القرآنية - كان حسن الأدب ، رقيق الخلق ، ثاقب الفطنة ، جواداً كما يقول ابن النديم^(٧) » .

وأقام ابن مجاهد نحواً من أربعين عاماً على خدمة كتاب الله ، والحفاظ عليه ، يقرئ الناس ، ويستقبل طلاب القراءات ، وخلائق لا تكاد تحصى تقصده من أمصار الإسلام حتى بعد صيته ، واستفاضت شهرته ، وفاق نظرائه مع الخير والدين ، قال ابن الجزري : لا أعلم أحداً من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ من ابن مجاهد ، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ من ابن مجاهد ، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه^(٨) . وحكى ابن

ويتبين من أسانيد ابن مجاهد إلى أئمة القراء السبعة أنه اتصل بهم اتصال تلقّ ورواية ، ولم يتم له ذلك الا بالارتحال حيث تلاميذ هؤلاء الأئمة ، ورواتهم ، والناقلون عنهم^(١) ، فنتج عن ذلك كله سعة الرواية عنده ، وإلمام دقيق بطرق القراءات وما فيها من وجوه ، ومعرفة بما في مصاحف الأمصار من رسوم .

إنه تلقى قراءة ابن كثير على قنبل شيخ القراء بمكة سنة ثمان وسبعين ومائتين هجرية ، وقرأ قراءة نافع على عبد الرحمن بن عبدوس (ت ٢٨٥ هـ) - يقرأ عليه عشرين ختمه^(٢) كما يقرأ عليه للكسائي وأبي عمرو وحمزة ويخبره عبد الله بن محمد بقراءة عاصم من أول القرآن إلى آخر سورة الكهف^(٣) كما يروي عن إبراهيم بن أحمد الوكيعي^(٤) عن أبيه عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم من أول القرآن إلى آخره^(٥) ويخبره أحمد بن يوسف التغلبي بقراءة عبد الله بن عامر عن ابن

(١) انظر السبعة لابن مجاهد من ص ٨٨ - ص ١٠٧ .

(٢) طبقات القراء ١/ ٣٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٤٤٩ .

(٤) السبعة : ص ٩٤ .

(٥) السبعة ١٠١ .

(٦) طبقات القراء ١/ ٣٧٤ .

(٧) الفهرست : ٤٧ .

(٨) طبقات القراء ١/ ١٤٢ .

وهذان المعلمان كانا في القرن الأول الهجري .

(٣) ثم تسبيح السبعة على رأس المائة الرابعة في سنة ثلاثمائة هجرية أو نحوها .

ولكل مَعْلَمٍ بواعثه ودواعيه على النحو الذي تذكره كتب القراءات (٧) ، كما ان لكل معلم ملامحه وصفاته ، ثم نتائجه وآثاره . فمن ملامح هذه المعالم أن القرآن المجموع في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه مشتمل على سبعة الأحرف التي أذن الله (عز وجل) للأمة في التلاوة بها ، ولم يخص حرفاً بعينه (٨) .

والقرآن المجموع في عهد سيدنا عثمان (رضي الله عنه) مجموع على حرف واحد ورسم واحد (٩) ما عدا اختلافات أحصاها المشتغلون بالدراسات القرآنية وعلم رسم

الأحزم (شيخ الإقراء بالشام) (١) انه وصل إلى بغداد فرأى في حلقة ابن مجاهد نحواً من ثلاثمائة مصدر (٢) . وقال علي بن عمر المقرئ (ت ٣٧٦ هـ) - كان في حلقة ابن مجاهد أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس (٣) .

وحسب ابن مجاهد أن يكون من بين تلاميذه : القارئ عليه ، والرأوين الحروف عنه : أبو علي الفارسي ، وابن خالويه (٤) . (عليهم جميعاً رحمة الله) .

معالم ثلاثة في تاريخ القراءات

في تاريخ القرآن والقراءات معالم ثلاثة بارزة ، تلکم المعالم هي :

- (١) جمع المصحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه .
- (٢) ثم كتابته على حرف واحد في عهد عثمان .

- | | |
|--|---|
| (١) طبقات القراء ٢/٢٧١ . | ابن عمر الدارقطني . |
| (٢) طبقات القراء ١/١٤٢ . | (٦) طبقات القراء ١/١٤٣ . |
| (٣) طبقات القراء ٢/٢٧١ . | (٧) انظر مثلاً الإبانة عن معاني القراءات تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ص ٥٧ وما بعدها . |
| (٤) طبقات القراء ١/١٤٢ . | (٨) المقنع للداني : ١٢٩ . (٩) النشر ١/١١١ . |
| (٥) طبقات القراء (١/٥٦٠) وعلي بن عمر هذا غير علي | |

هذا الموضوع ، وقد أكثر المؤلفون القدامى والمحدثون فيه دون أن يفتنوا إلى أهمية تحديد تاريخ التسبيع ، وما لابن مجاهد في الدراسات اللغوية من صنع .

إن البحث الموضوعي يحتم علينا : أولاً تأسيس الكلام في تهجم النحاة على القراءات (إن كان) على تعرف هذا الجانب التاريخي من عمل شيخ الصنعة في القراءات .

وأعود فأسأل : متى سبّع ابن مجاهد السبعة ؟ وماذا كانت دواعيه ؟ وما الأسس التي يقوم عليها ؟ وماذا كانت مواقف القراء والنحاة من عمل ابن مجاهد هذا ؟

يجيب عن تلك الأسئلة مكّي بن أبي طالب في كتابه الإبانة عن معاني القراءات ويتناقل المشتغلون بالدراسات القرآنية من بعده كلامه^(٥) إذ يقول :

المصاحف^(١) ورسم المصاحف العثمانية أجمعت عليه الأمة . وتلقته بالقبول^(٢) ونبذ ما عداه لتصير الكلمة واحدة ، فكان ذلك حجة قاطعة وفرضاً لازماً^(٣) .

على أنه قد اختلف : هل المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة أو على بعضها ؟ وتفصيل هذا الخلاف وحجة كل فريق مدون في كتب القراءات^(٤) .

وكان المَعْلَم الثالث بصنيع أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) : تسبيعه السبعة .

متى سبّع ابن مجاهد السبعة ؟

فمتى سبّع ابن مجاهد السبعة ؟ وإن لتاريخ التسبيع أهمية كبيرة في تقييم أقوال النحاة ومسلكتهم نحو القراءات . . . وهو يفسّر اتجاهاتهم في

(١) وابن عبد البر ٦٦/٤) والمرشد الوجيز ١١٤ وما بعدها .

(٥) انظر المرشد الوجيز ص ١٥٧ وانظر فتح الباري ج ٩ ص ٣١ .

(١) انظر المقنع ٨٨ - ١٣١ .

(٢) سراج القاري .

(٣) المرشد الوجيز ص : ١٤٨ .

(٤) انظر الإبانة ص ٣٢ لطائف الاشارات ص ٦٥ وما بعدها .

ونافع من أهل المدينة ،
كلهم ممن اشتهرت إمامته ، وطال
عمره في الإقراء ، وارتحال الناس اليه
من البلدان .

ولم يترك الناس مع هذا نقل ما كان
عليه أئمة هؤلاء من الاختلاف ، ولا
القراءة بذلك^(١) .

ثم قال مكي : وأول من اقتصر على
هؤلاء : أبو بكر بن مجاهد قبل سنة
ثلاثمائة أو في نحوها ، وتابعه على ذلك
من أتى بعده إلى الآن ، ولم تترك القراءة
بقراءة غيرهم ، واختيار من أتى بعدهم
إلى الآن^(٢) .

ويقول أبو شامة : وليست هذه
الروايات (روايات القراء السبعة)
بأصل في التعيين ، بل ربما خرج عنها
ما هو مثلها أو فوقها ، كحروف أبي جعفر
المدني وغيره^(٣) .

وفي كلام مكي تحديداً للعصر ولللسنة
التي سبّع فيها ابن مجاهد سبعة

إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا
في العصر الثاني والثالث كثيراً في
العدد ، كثيراً في الاختلاف فأراد الناس
في العصر الرابع أن يقتصروا من
القراءات التي توافق المصحف على ما
يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به ،
فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة
وحسن الدين ، وكمال العلم ، قد طال
عمره ، واشتهر أمره ، وأجمع أهل مصره
على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما قرأ
وروى ، وعلمه بما يقرأ ، فلم تخرج
قراءته عن خط مصحفهم المنسوب
إليهم ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه
عثمان مصحفاً - إماماً هذه صفته وقراءته
على مصحف ذلك العصر .

فكان أبو عمرو من أهل البصرة ،
وحمزة وعاصم من أهل الكوفة
وسوادها ،

والكسائي من أهل العراق ،
وابن كثير من أهل مكة ،
وابن عامر من أهل الشام ،

(٣) المرشد الوجيز ص ١٥٠ وانظر فتح الباري ج ٩ ص

(١) انظر لطائف الاشارات ص ٦٦

(٢) الإبانة ص ٨٦ وما بعدها .

القراء : أما العصرُ فهو العصر الرابع ، وأما السَّنة فهي ثلاثمائة هجرية أو نحوها .
نحوها على التحديد كما نقلت عن مكّي في الإبانة ، وكما يؤكده الشيخ أبو الحسن السخاوي شيخ أبي شامة^(٢) .

أقول : وقول مكّي : أو نحوها أي من العصر الرابع ، وذلك بأن يكون في سنة إحدى وثلاثمائة أو ما بعدها بقليل . .

ولست أدري من أين جاء الأستاذ (الدكتور) لبيب السعيد بأن اختيار ابن مجاهد كان سنة ٢٨٦ هـ حيث يقول :

« كان ابنُ مجاهد معاصراً للطبري ، ويذكر مؤرخو القراءات أنه في سنة ٢٨٦ هـ أي قبل وفاة الطبري بنحو ربع قرن . كان ثعلب النحوي يقول : « ما بقي في عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد » فالأحظى بالقبول أن اختيارات ابن مجاهد كانت فيما حول تلك السنة »^(١) .

وماذا كان أثر التسبيع ؟
أولاً : وتسبيع ابن مجاهد للسبعة ذو أثر بارز في الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية جميعاً :

وأول أثر لهذا العمل الصالح من ابن مجاهد أنه حمى المسلمين أن يختلفوا في قراءة كتاب الله ، ولا يعلم إلا الله مدى ما كان تتعرض له القراءات من كثرة الاختلافات كثرة تؤدي إلى فتنة بين المسلمين .

إن المصادر التي بين يديّ تحدّد زمن تسبيع ابن مجاهد للسبعة كما ذكرت من قبل : العصر الرابع وسنة ثلاثمائة أو

(٣) المصدر نفسه ١٨٩ .

(١) دفاع عن القراءات المتواترة ص ٣١ .

(٢) انظر المرشد الوجيز ص ١٦٠ .

الكثرة^(٤) التي ربما تؤدي إلى ضرب من العنت والمشقة في استيعابها والوقوف على وجوهها وطرقها .

وقد أورد مكي بن أبي طالب للتدليل على ذلك مثلاً لاختلاف القراء في سورة الفاتحة مما هو جزء من الأحرف السبعة :

● فذكر ما روي عن السبعة المشهورين في هذه السورة ، مما لا يخالف خط المصحف مما قرأ هو به .

● ثم أعاد السورة : سورة الفاتحة فذكر ما فيها من القراءات عن غير هؤلاء السبعة ممن هو أعلى درجة منهم مما لا يخالف خط المصحف أيضاً ، وقال عنه مكي : وهو أيضاً مقبول ، معمول به في الأمصار ، مروياً عن أئمة مشهورين غير هؤلاء السبعة .

● ثم أعادها ثالثة فذكر ما روي فيها من القراءات عن غير الأئمة السبعة ممن هو أعلى رتبة منهم ، وأجلّ قدراً مما يخالف خط المصحف . مما تركت القراءة به للإجماع على المصحف^(٥) ثم قرر مكي أنه لا يدعي ذكر كل ما روي في

وقد استطاع ابن مجاهد أن يحمل الناس على اختياره بماله من مكانة عند الحكام في زمنه . . . واستتاب كلاً من ابن شنبوذ ، وابن مقسم العطار بحضرة الوزير ابن مقله . . . وقد كان الأول يقرأ بما صحّ سنده ولو كان مخالفاً لرسم المصحف^(١) . وكان الآخر يقرأ بما يحتمله رسم المصحف ولو لم يكن مروياً^(٢) فرجعا عما كانا يقرآن به وكتبا بخطهما رجوعهما سنة ٣٢٣ هـ وشهد على ذلك أبو بكر بن مجاهد .

ومما يؤكد جلال ما اختار ابن مجاهد ، ورضى الناس باختياره للقراءات السبعة ، وأثر ذلك في حماية الأمة من فتنه كاد شرها يستطير . . إن القراءات الصحيحة كثيرة . . فليست هذه السبعة متعينة للجواز ، كما يقول أبو بكر بن العربي حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم^(٣) .

إلا أن الروايات والاختلافات في القراءات غير سبعة ابن مجاهد كانت من

(١) المرشد الوجيز ١٦٣ . (٢) المصدر نفسه . (٤) السبعة لابن مجاهد ص ٢٣ .

(٥) الابانة ص ١١٥ .

(٣) فتح الباري ج ٩ ص ٣٠ .

سورة الفاتحة على قَصَرها فقد بلغ غيرُه
فيها من الاختلاف أمثال ما بلغه ، فقدَّرُ
في نفسك ، وَتَوَهَّمْ قدرما ذكرتُ لك في
جميع سور القرآن فإنه يكثرُ الاختلافُ .
ويعظمُ من الأصناف الثلاثة^(١) .

الاحتجاج للسبعة .
جـ - كذلك صنع ابن خالويه (ت
٣٧٠ هـ) فيحتج للقراءات السبعة .

د - ويحيى ابن جني (ت ٣٩٢)
تلميذ أبي علي الفارسي ، فينتصر لما
شدَّذ ابن مجاهد من القراءات ويحتجُّ لها
في كتابه المحتسب^(٤) .

وفي القرن الخامس الهجري ينشط
القراء في الاحتجاج ، وينتقل نشاطهم
الى المغاربة ، فيؤلف مكِّي بن أبي
طالب (ت ٤٣٧ هـ) كتابه الكشف عن
علل القراءات وحججها ، ويؤلف
الداني (٤٤٤ هـ) كتاب الموضح
لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح
والإمالة^(٤) .

وقد يقتصر بعضهم في
احتجاجه - على قاريء من القراء السبعة
كما فعل أبو ظاهر البزار في كتابه
الانتصار لحمزة^(٥) .

وثانياً : وقد ألف ابن مجاهد في
الشواذ^(٢) كما ألف السبعة في المتواتر
من القراءات ، ويعمله هذا استبحرت
الدراسات اللغوية والنحوية ؛ إذ فتح
باب الإحتجاج للغويين والنحويين منذ
عصره حتى عصور متأخرة : احتج هو
للقراءات في سورة الفاتحة ثم وجد أن
الكتاب سيطول فترك الاحتجاج .

أ - وبدأ من بعده أبو بكر بن السراج
(٣١٦ هـ) فاحتج لسبعة ابن مجاهد
فأتم سورة الفاتحة ، وتناول أجزاء من
سورة البقرة^(٢) ثم أمسك .

ب - ثم جاء أبو علي الفارسي (ت
٣٧٧ هـ) وهو تلميذ لابن مجاهد في
القراءات^(٣) فألف كتابه الحجة في

(١) المصدر نفسه ص ١١٧ وانظر الأنواع الثلاثة للاختلاف

في سورة الفاتحة في الابانة من ص ١١٨ - ١٢٧ .

(٢) تقديم الحجة ٢/١ .

(٣) انظر طبقات القراء ٢٠٧/١ .

(٤) انظر ابو علي الفارسي ١٥٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٦٠ .

مصر - بعد أن كان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب ، لا يعرفون غيرها .

وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم .
وبالشام على قراءة ابن عامر ، لا يجري على ألسنتهم غيرها .
وبمكة على قراءة ابن كثير .
وبالمدينة على قراءة نافع (٣) .

ومن هنا كان المؤلفون قبل ابن مجاهد عند حديثهم عن القراءات يعينون القارئ إذا كان هذا القارئ منسوباً إلى مصر المؤلف . . أما إذا كان منسوباً إلى غير مصر المؤلف فإنه يشير إليه بمثل قوله : وقرأ بعضهم (٤) . . . أو إن هذه قراءة أهل الحجاز (٥) أو قراءة أهل مكة (٦) دون إسناد إلى ابن كثير أو تعيينه . . أو قرأ أهل المدينة كذا (٧) دون إسناد إلى نافع ، أو قرأ أهل الكوفة كذا (٨) دون إسناد إلى حمزة أو

وكتب الاحتجاج وخاصة كتابي الحجة والمحتسب - وهي مبنية على ما ألف ابن مجاهد في المتواتر والشاذ - يعدُّ مرآة لضلالة مؤلفيها ، وبراعتهم وتبحرهم ، وتمكنهم من الثقافة الإسلامية ، ودرايتهم بأساليب العرب وسنن العربية ، فهي موسوعة جامعة لكتب مختلفة في القراءات ، والتفسير واللغة والنحو ، والصرف ومسائل الخلاف ، والاحتجاج لها ، والعروض ، والشواهد العربية القديمة ، ولهجات القبائل ، مما جعلها معتمداً القراء والمفسرين واللغويين والنحويين . . . (١) وحظيت بتقدير العلماء (٢) وكان ذلك الفيض من الدراسات أثراً من آثار صنيع شيخ القراء .

وثالثاً : وعلى أثر تسبيح ابن مجاهد للسبعة شاعت القراءات السبع في الأمصار وأصبحت معروفة في كل

(٥) الكتاب لسيبويه ج ١ / ٤١٧ .

(٦) الكتاب ج ٢ ص ٤١٠ .

(٧) المصدر نفسه ج ١ / ٢٨٣ ، ٤٢٩ ، ٤٧٥ مثلاً .

(٨) الكتاب ج ١ / ٤٣٠ ، ٤٧٦ مثلاً .

(١) انظر ابو علي الفارسي ص ٢٥١ وما بعدها .

(٢) انظر مثلاً رسالة الغفران ص ١٥٢ - ١٥٤ وطبقات القراء ٢٠٧ / ١ .

(٣) فتح الباري ج ٩ ص ٣١ .

(٤) الكتاب لسيبويه ٢٥٠ / ١ .

الكسائي ... كذلك فعل سيبويه (البصري) ، فقد عين القراء البصريين وذكر أسماءهم وجود قراءتهم^(١) ... وكنت قد استظهرت أن العصبية المذهبية هي التي دفعت هؤلاء النحاة إلى أن يغفلوا عامدين أسماء القراء من الأمصار المنافسة لهم في مذاهبهم النحوية ، ولكنني عدلت عن ذلك بعد ما تبين لي وجه الحق والصواب ؛ وهو أن هؤلاء القراء لم يكونوا معروفين عند هؤلاء النحاة . فالنحويُّ البصري في القرنين الثاني والثالث (قبل تسبيع ابن مجاهد للِسبعة) يعيِّن البصريين من القراء بأسمائهم ، على حين يَجْمَلُ الإشارة إلى غيرهم .. وكذلك كان النحاة الكوفيون يفعلون ؛ يعينون القراء الكوفيين ، ويُجْمِلون الإشارة إلى من لا يعرفون^(٢) .

الهجري ممثلاً في الكتاب لسيبويه فإذا وجدت الاتجاه الموضح آنفاً ، وجدته مطرداً ، فقد انتقلت الى القرن الثالث الهجري واستشرت مصدراً بصرياً آخرًا هو مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)^(٣) وأخذت أتعرف كيف كان ذكره للقراءات فسرعان ما لاحظت أنه يذكر الأوجه المختلفة في قراءة اللفظ القرآني غفلاً دون تعيين وقد يعين من يقرؤها ، إذا كان بصرياً .. سواء أكان ذلك القارئ المعين من قبل أبي عبيدة من السبعة أم من غيرهم .. المهم أن يكون المعين بصرياً ..

وفيما يلي أمثلة للقراءات التي أوردتها غفلاً من نسبتها الى أصحابها :

(أ) يقول بعضهم ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ (سورة ٣٣ /

كذلك كان الحال في القرن الثاني

١٤٩ هـ) (الحيوان ١ / ١٧٧) وعيسى بن عمر (١٠٤ هـ) المزهر ٢ / ٤٠١ - ٤٠٢ ولازم يونس بن حبيب (١٨٧ هـ) زمناً طويلاً وكتب عنه (ابن خلكان ١ / ٦٢١) . وكان يسأل رؤية بن العجاج أحياناً انظر الجمهرة ٣ / ٣٥) والاتقان ١٩٦ / وقد عاصر من علماء اللغة الأصمعي (٢١٦ هـ) وأبازيد (٢١٤ هـ) .

(١) انظر ابو علي الفارسي ص ١٦٤ وما بعدها الى آخر ص ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص : ١٦٦ .

(٣) أخذ أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) النحو والشعر والغريب عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤) (انظر المزهر ٢ / ٤٠١ - ٤٠٢) وعن أبي الخطاب الأخفش (ت

(ب) قوله تعالى : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ﴾ مرفوعة إذا عملت فيها ، ثم لم تكن « فتجعل قولهم » الخبر لـ « تكن » ، وقوم ينصبون فتنتهم لأنهم يجعلونها الخبر ، ويجعلون قولهم الاسم بمنزلة قولك : ثم لم يكن قولهم الا فتنة « لأن : إلا أن قالوا » في موضع « قولهم » ، ومجاز « فتنتهم » مجاز كفرهم وشركهم الذي كان في أيديهم (مجاز القرآن ج ١ ص ١٨٨) . ثم ها أنتم أولاء كذلك ترون أنه لم يعين من قرأ فتنتهم ومن قرأ فتنتهم .

(ج) وقال أبو عبيدة : « دارست »^(١) من المدارس ، ودَرسَت أي امتحنت^(٢) .

(د) وقال أبو عبيدة : ﴿ يرسل الرياح نُشْرًا ﴾^(٣) أي متفرقة من كل مهب وجانب وناحية^(٤) . ولم يعين من قرأ بشراً ومن قرأ نُشْرًا . ذلك لأن سبيله هنا بيان معنى كل قراءة دون تعيين القراء ... وخاصة إذا كانوا غير

٥٦) فيرفعون ملائكته على شركة الابتداء ، ولا يعملون فيها إن ، وقال : سمعت الفصحاء من المحرمين يقولون : « إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك » .

وقراها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها . وهو يجوز لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فضل قال :
أُمُّ الْحَلِيسِ لِعَجُوزٍ شَهْرَبَةٍ

وزعم قوم أنه لا يجوز ؛ لأنه إذا خفف نون إن فلا بُدَّ له من أن يدخل « إلا » فيقول ﴿ إِنَّ هَذَانِ أَسَاحِرَانِ ﴾ (مجاز القرآن ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣) .

فها أنتم أولاء ترون أنه لا ينسب أوجه القراءات إلى قارئ معين وارجعوا إلى نص أبي عبيدة السابق حيث « يقول بعضهم » ... « وسمعت الفصحاء من المحرمين » ... وقرأها قوم ... وزعم قوم ... الخ .. ومثال آخر :

(٣) سورة الاعراف اية ٥٦ .

(٤) مجاز القرآن ج ١ ص ٢١٧ .

(١) الانعام اية ١٠٥ .

(٢) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٠٣ .

معروفين له (١) .

(هـ) يا زكريا .. فيه ثلاث لغات ... زكرياء ممدود ، وزكريا ساكن ، وزكريُّ .

ومن أمثلة تعيينه القراء وحينئذ يكونون بصريين ، لأنه بصري ... أخذ عن بصريين ..

(أ) قوله تعالى : ﴿ فَرُّهُنْ مَقْبُوضَةٌ ﴾ قال أبو عمرو : الرُّهَانُ فِي الْخِيلِ ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ قَعْنَبَ بْنِ أُمِّ صَاحِبٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ :

بَانَتْ سَعَادُ ، وَأَمْسَى دُونَهَا عَدْنُ
وَعَلَّقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَبْلِكَ الرُّهْنَ

وأبو عمرو بن العلاء الذي روى أبو عبيدة عنه هذه القراءة ﴿ فَرُّهُنْ مَقْبُوضَةٌ ﴾ واحتج لها .. وأقول : وأبو عمرو شيخ أبي عبيدة في النحو والشعر والغريب (٢) .

(ب) ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ قال أبو

وزعم أبو الخطاب انه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب (٣) . قال بشر بن هلال : « ان بمعنى الابتداء والإيجاب الا ترى إنها تعمل فيما يليها ، ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها فترفع الخبر ولا تنصبه كما تنصب الاسم ، فكان مجاز « إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ » مجاز كلامين مخرجه إنه أي نعم ، ثم قلت : هذان ساحران (٤) .

وفي هذا النص تعيين لأبي عمرو وأبي الخطاب ، وبشر بن هلال ... وكل من هؤلاء إمام من أئمة البصرة في النحو واللغة والقراءات ؛ أما الأول فذكرهما سائر معروف ، وأما بشر بن

واسكان التاء ، والباقون بغير ألف واسكان السين وفتح التاء .

(٢) المزهر ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٣) المسائل المتنوعة لأبي علي الفارسي لوحة : ٨ .

(٤) مجاز القرآن ج ٢ ص ٢٢ .

(١) في التيسير للداني ص ١٠٥ دارست قراءة ابن كثير وأبي عمرو (يلحظ ان الخليل بن أحمد البصري قرأ على ابن كثير) وفي الطبري ١٨٧/٧ دارست قراءة بعض قراء اهل البصرة وقرأها ابن عامر بغير الف وفتح السين

والذي قرأها كذلك : الأعمش وابن السميع وآخرون (البحر المحيط ٤٠ / ١) ويقول : وقد قرأ قوم : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ .

جعلوه على الاستثناء الخارج من أول الكلام وذلك أنه إذا استثنى شيئاً ليس من أول الكلام في لغة أهل الحجاز فإنه ينصب ، يقول : ما فيها أحد إلا حماراً . وغيرهم يقول هذا بمنزلة ما هو من الأول . فيرفع (معاني القرآن ج ١ ص ١٨)

أتدرون من الذي قرأ بالنصب ؟ إنهم جماعة من الحجازيين ، فقد روى الخليل بن أحمد عن ابن كثير النصب ، وهي قراءة عمر وابن مسعود وعلي والزبير (البحر المحيط ٢٩ / ١) .

لكن الأخفش لم يعين واحداً من هؤلاء .. بل قال « قرأ مقام » مرة .. وفي لغة أهل الحجاز مرة أخرى .. ثم نراه يمضي في هذا الطريق .. فيقول مثلاً :

هلال فهو أبو جعفر الصوّاف روى القراءة عن بكار بن عبد الله .. وبكار هذا هو ابن عبد الله بن يحيى بن يونس العوزي البصري ، شهير في رواية « أبان »^(١) وأبان هذا هو أبان بن يزيد البصري العطار .. وحسبنا إنه قرأ عليه يونس ابن حبيب^(٢) .

وآخر من علماء القرن الثالث الهجري .. وكان من البصريين ، ذلكم الأخفش (ت ٢١٥ هـ) في معاني القرآن .

والأخفش كذلك يجري في سنن من قبله من النحاة : فهو يذكر القراءات دون تعيين .. وإذا عين فإنما يعين من اتصل نسبه العلمي به ، أعني من كان بصرياً يعيش في البصرة يأخذ عنه ، ويسمع منه ..

يقول الأخفش « سعيد بن مسعدة » ... وقد قرأها قوله يقصد ﴿ مالك يوم الدين ﴾ مالك نصبه على الدعاء (معاني القرآن ج ١ ص ١٣) .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٤ .

(١) طبقات القراء ج ١ ص ١٧٧ .

التخفيف (في الهمز) قراءة أهل المدينة ، وتحقيقهما جميعاً (أي الهمزتين) قراءة أهل الكوفة ، وبعض أهل البصرة . (معاني القرآن ٤٤/١) .

ونص سيويه :
ويعين الأخفش القاريء نادراً . . فقد قال : يشابه (هي قراءة مجاهد) . (معاني القرآن ص ١٠٥) .

كما عين ابن مسعود (انظر ص ٣٥٦ و ٤٥٠) وعيسى بن عمر (انظر ص ٣٥٦ ، ٤٥٠) وابن أبي اسحق (٤٥٠) أما ابن مسعود فشهرته وموقفه من رسم مصحف عثمان جعلاً قراءته معروفة للناس ، وأما عيسى بن عمر ، وابن أبي اسحق فكلاهما بصري . والأخفش الأوسط موصول النسب العلمي بكل منهما .

وعالم من علماء البصرة ذلكم هو : المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في المقتضب :
(١) جاء في المقتضب^(١) .

وبنو تميم يرفعونها إلا من عرف كيف هي في المصحف (سيويه ج ١ ص ٢٨)

(٢) ونص آخر للمبرد في المقتضب :
وقولك : من الكافرياً فتى . . الإماله فيه حسنة وليس كحسنها في الكافرين . . . ولا يذكر مذهباً من مذاهب القراء في ذلك (وانظر سيويه ج ٢ ص ٢٦٨) .

(٣) سيويه ج ١ ص ٢٨ .

(٤) سيويه ج ٢ ص ٢٦٨ .

(١) ج ٤ ص ١٨٨ .

(٢) المصدر نفسه .

- (٣) ونص ثالث من المقتضب يعين فيه «أبا عمرو» .
- وقرأ أبو عمرو^(١) «بَتَوْعْثِرُونَ»^(٢) ، فأدغم ، وقرأ : «هَثُوبَ الكِفَارِ»^(٣) .
- (٤) ثم نص من المقتضب لم يعين القارئ فيه :
- ولا تقول : من قال - ومن جاء ؟ فتبين . وكذلك من سليمان ؟ ولا : ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ فتبين . . ولا تقول : من حاتم ؟ فتخفى ، وكذلك من على . . .
- وأجود القراءتين : ﴿ألا يعلم من خلق﴾ (الملك : ١٤) فتبين ، وانما قلت : أجود القراءتين ، لأن قوما يجيزون اخفاءها مع الخاء والغين خاصة . . » ، لأنهما أقرب حروف الحلق الى الفم ، فيقولون : منخل ومنغل . . وهذا عندي لا يجوز ولا يكون أبداً مع حروف الحلق إلا الإظهار . (المقتضب ج ١ ص ٢١٦) .
- القرءة سنة لا تخالف :
- نص من سيبويه (ج ١ ص ٧٤) هامش .
- وقد قرأ بعضهم : ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ ، إلا أن القرءة لا تخالف ، لأنها سنة .
- هذه العبارة من سيبويه تجب كل ادعاء بأنه يهاجم القراءات ، والأخذ بفحواها يرفع اللوم عن سيبويه . .
- (٥) ونص من المقتضب بتعيين مصحف أبي (ج ٢ ص : ٢٨) هامش :
- قال الله (عز وجل) : ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ . . أي يكون هذا أو يكون هذا . .
- فأما الموضع الذي تنصب فيه بإضمار «أن» فقولك : لألزمك أو تقضيته أي ألا أن تقضيته . . .
- وفي مصحف أبي ﴿تقاتلونهم أو

(٣) سورة المطففين آية ٢٦ .

(١) المقتضب ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) سورة الأعلى آية ١٦ .

يسلموا ﴿ على معنى ألا أن يسلموا ،
وحتى يسلموا ...

(٧) نص من المقتضب^(٣)

(٦) ونص من المقتضب^(١) :

« وفي ظننت وبابها تكون الخفيفة
والثقيلة ... قال الله ﴿ عز وجل :
﴿ وحسبوا ألا تكون فتنة ﴾ وان « لا
يكون »^(٤) فالرفع على « إنها لا تكون فتنة »
وكذلك : ﴿ أفلا يرون أن لا يرجع
إليهم قولاً ﴾ ، أي أنه لا يرجع إليهم
قولاً .

الإجازة في الكلام وليست الإجازة
في القرآن .

وقوله (عز وجل) : ﴿ فلولا كان من
القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن
الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا
منهم ﴾ .

أقول : وهاتان قراءتان ولكنه لم
يعينهما .

لولا في معنى « هلا » ، والنحويون
يجيزون الرفع في مثل هذا من الكلام ولا
يجيزونه في القرآن لثلا يغير خط
المصحف « وهم بهذا يحترمون رسم
المصحف^(٢) » .

فإذا أردنا أن نتعرف اتجاه
الكوفيين - بعد أن عرفنا اتجاه البصريين
في عدم تعيين القراء عند جهلهم
بهم .. بمعنى أن التعيين يكون إذا كان
المؤلف بصرياً والقارئ كذلك .. ولا
يكون إذا كان القارئ غير بصري ..
فهل كان هذا الاتجاه عند الكوفيين من
المشتغلين بالدراسات القرآنية - قبل ابن

ألا يعطينا هذا النص عدم إجازة ما
ضعفه سيويه أو أنكره أو جعله في الكلام
فقط لا في القراءات ... فالقراءات سنة
لا تخالف .

« وبهذا نوفق بين ما قبّحه النحاة وبين

(٣) ج ٢ ص ٣٢ .

(١) ج ٤ ص ٤١٦ .

(٤) المائدة : ٧١ ، والقراءتان برفع الفعل وينصبه من
السبعة غيث النفع ص ٨٦ والنشر ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) المقتضب ج ٤ ص ٤١٦ ، وانظر سيويه ج ١ ص
٤١٦ .

٣ - واقرأوا النص الآتي :

وأما قوله : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ فالقراء على نصب ذلك كله بالتبرئة إلا مجاهداً ، فإنه رفع الرفث ، والفسوق . ونصب الجدال « انتهى كلام القراء .

وأقول : « يبدو من ذلك النص ما قررته غير مرة من أن مذاهب القراء لم تتضح حتى عصر القراء بدليل انه ينص في كلامه السابق على ان القراء على نصب ذلك كله بالتبرئة الا مجاهدا ... » .

على حين أن القراء اختلفوا في هذه الآية وأمثالها مما تكررت فيه « لا » مثل : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم ﴾ ﴿ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ . فيعقوب « لا خوف » حيث وقع بفتح الفاء ، وحذف التنوين ، ووافقه الحسن ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وكذا أبو جعفر فلا رفث ولا فسوق بالرفع

مجاهد . . . فلنستشر القراء الكوفي . مع القراء الكوفي (٢٠٧ هـ) في معاني القرآن :

ويشير القراء الى القراء الكوفيين ويعينهم بأسمائهم ، أما غيرهم فيذكرهم غالباً في إجمال دون تعيين :

١ - قال : « وكان حمزة يهمز الأمر إذا كانت فيه الفاء ، أو الواو مثل قوله : ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ ومثل قوله : ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب ﴾ ^(١) وفي هذا النص إشارة الى حمزة وهو قارئ كوفي .

٢ - كما يشير الى قراءة عبد الله بن مسعود ، فيقول : « وقوله » : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ رفع مردود على (الله) تبارك وتعالى ، وقد خفضها بعض أهل المدينة . يريد « في ظلل من الغمام والملائكة » والرفع أجود لأنها في قراءة عبد الله : ﴿ هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام ﴾ ^(٢) .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(١) معاني القرآن للقراء ١ / ٢٥

والتنوين ، ووافقهم ابن محيصة واليزيدي .
وقرأ بالفتح في الموضعين ابن عامر وعاصم ويعقوب^(٣) .

٥ - وفي قوله : ﴿ ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلكم فيه فإن قاتلكم فاقتلوهم ﴾ - قال الفراء :
هذا وجه قد قرأت به العامة . وقرأ أصحاب عبد الله ﴿ ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم ﴾^(٤) .

قال الفراء : تكسر الألف من « إن » والتي بعدها في جوابها على الإثتناف وهي قراءة الفراء وإن شئت فتحت الألف من « أن » تريد : كتب ربكم على نفسه أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴿ .
فهو في نصه هذا يشير إلى القراء بعامة . . كما يعين من القراء عبد الله وأصحابه ، كما يعين قراءة أبي زيد بن ثابت والحسن البصري^(٥) مع أن حمزة والكسائي وخلقاً قرأوا بغير ألف في الأفعال الثلاثة من القتل ، ووافقهم الأعمش .

على حين أن القراء اختلفوا :
فقرأ بالكسر في أن الأولى وإن الثانية ، ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي .
والباقون بالألف من القتال^(٦) .
٦ - وفي قوله تعالى : ﴿ تساءلون ﴾ من أول سورة النساء ، قال الفراء : وقرأ

(١) الإتخاف ص ١٣٤ .
(٢) معاني القرآن ج ١ ص ٣٣٦ .
(٣) هامش التحقيق من المصدر السابق .
(٤) معاني القرآن ج ١ ص ١١٦ .
(٥) المصدر نفسه ص ١١٧ وص ٢٣٩ .
(٦) الإتخاف ص ١٥٥ .

بعضهم « تساءلون » يريد « تتساءلون » فادغم التاء عند السين .^(١) انتهى كلام الفراء .

وما بعضهم إلا السبعة ما عدا عاصماً وحمزة والكسائي^(٢) .

ذلكم كان موقف النحاة من نسبة القراءات الى أصحابها - قبل ابن مجاهد - وخلاصة موقفهم هذا أنهم ينسبون الى قارئ يتصل به نسبهم العلمي ، فالبصريون من النحاة ينسبون الى القراء البصريين ويعينون أسماءهم . . كذلك كان موقف النحاة الكوفيين ، ينسبون الى القراء الكوفيين ، ويعينون أسماءهم كذلك . . . ثم كان لكل من عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت شهرة تجعله معروفا لهؤلاء وهؤلاء : البصريين والكوفيين على السواء .

وإليك هذا النص من تفسير الطبري (ت ٣١٠ هـ) فإنه يعزز ما ذهب اليه

من رأي :

حدث الطبري عن شيوخه عن علقمة قال : قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال : من أين أنت ؟ فقلت من أهل العراق ، قال : من أيها ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : هل تقرأ قراءة ابن أم عبد^(٣) قلت : نعم . قال : اقرأ ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ . . قال فقرأت : ﴿ والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، والذكر والأنثى ﴾ قال : فضحك ، ثم قال هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) . وفي رواية أخرى : أن أبا الدرداء أتبع ذلك قوله : « فهؤلاء يريدونني على أن أقرأ : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ فلا أنا أبأيعهم » .

ودلالة هذا النص واضحة في أن أهل الكوفة يعلمون قراءة عبد الله بن مسعود ، ثم إن كلاً من أهل الشام ، وأهل الكوفة لا يعلم كل قراءة الآخر . . . وذلك هو ما استظهرته من قريب .

(٣) يعني قراءة عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) .

(٤) تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١٣٩ .

(١) معاني القرآن ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) انظر التيسير لأبي عمر الداني في قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ .

صوم هذا اليوم بطعام مسكين أفديه فديةً ، كما يقال : جلست جلسة ، ومشيت مشية . والفدية فعل والطعام غيرها ، فإذا كان ذلك كذلك فتبين ان اصح القراءتين إضافة الفدية إلى الطعام . وواضح خطأ قول من قال : إن ترك إضافة الفدية الى الطعام أصح في المعنى من أجل ان الطعام عنده هو الفدية . فيقال لقائل ذلك : قد علمنا أن الفدية مقتضية مفدياً ، ومفدياً به . فإن كان الطعام هو الفدية ، والصوم هو المفدى به فأين اسم فعل المفتدي الذي هو فدية . إن هذا القول خطأ بين غير مشكل . وأما الطعام فهو مضاف إلى المسكين .

وفي النص الآتي يقول الطبري في قوله تعالى : ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ :

قال : « وأما الطعام فإنه مضاف إلى المسكين . والقراء في قراءة ذلك مختلفون ، فقرأه بعضهم بتوحيد المسكين بمعنى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين واحد لكل يوم أفطره . كما حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال :

فإذا انتقلنا الى القرن الرابع الهجري وجدنا الطبري / (ت ٣١٠ ط) يقول في تفسيره (ج ٢ ص : ٨٣) « وأما قوله ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ ، فان القراء مختلفة في قراءته فبعض يقرأ بإضافة الفدية الى الطعام ، وخفض الطعام : وذلك قراءة معظم قراء أهل المدينة . بمعنى : « وعلى الذين يطيقونه أن يفدوه طعام مسكين » فلما جعل مكان أن يفديه الفدية أضيف الى الطعام كما يقال : « لزمني غرامة درهم » بمعنى : لزمني أن أغرم لك درهما .

وآخرون يقرأونه « بتنوين الفدية » ورفع الطعام ، بمعنى الإبانة في الطعام عن معنى الفدية الواجبة على من أفطر في صومه الواجب ، كما يقال : لزمني غرامة درهم لك ، فتبين بالدرهم عن معنى الغرامة ما هي وما حدها ؟ وذلك قراءة أعظم قراء أهل العراق .

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ فدية طعام بإضافة الفدية الى الطعام ، لأن الفدية اسم للفعل وهي غير الطعام المفدى به الصوم ، وذلك أن الفدية مصدر من قول القائل : فديت

الجميع ، وإن الجميع لا يترجم به عن الواحد فلذلك اخترنا قراءة ذلك بالتوحيد^(١) .

ثم يقول الطبري^(٢) :

واختلف القراء في قراءة قوله ﴿لِزَلْقُونَكُ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة : لِزَلْقُونَكُ بفتح الياء من زَلَقته أزلقه زلقا .

وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة لِزَلْقُونَكُ بضم الياء من أزلقه يزلقه .

والصواب من القول عندي أنهما قراءتان معروفتان ولغتان مشهورتان في العرب متقاربتا المعنى . . . والعرب تقول للذي يحلق الرأس قد أزلقه وزلقه . فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب^(٣) .

وها أنتم أولاء ترون الطبري يقول عامة قراء الكوفة ؟ وعامة قراء البصرة والحجاز الخ .

ولكن ابن مجاهد وهو مسبِّع السبعة

ثنا حسين الجعفي عن أبي عمرو أنه قرأ فديةً رفع منون طعام رفع بغير تنوين مسكين . وقال :

عن كل يوم مسكين . وعلى ذلك معظم قراء أهل العراق .

وقرأه آخرون بجمع المساكين فدية طعام مساكين بمعنى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين عن الشهر إذا أفطر الشهر كله . كما حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي عن يعقوب عن بشار عن عمرو عن الحسن طعام مساكين عن الشهر كله .

وأعجب القراءتين في ذلك قراءة من قرأ طعام مسكين على الواحد ، بمعنى : وعلى الذين يطيقونه عن كل يوم أفطره فدية طعام مسكين ، لأن في إبانة حكم المفطر يوماً واحداً وصولاً إلى معرفة حكم المفطر جميع الشهر . وليس في إبانة حكم المفطر جميع الشهر وصول إلى إبانة حكم المفطر يوماً واحداً . وأياماً هي أقل من أيام جميع الشهر ، وإن كل واحد يترجم عن

(٣) . وانظر تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١٣٨ و ١٢٩ و

١٢٧ . ج ٢٨ ص ٢١ ج ٢٩ ص ٦٦ .

(١) (تفسير الطبري ج ٢ ص ٨٣ .

(٢) ج ٢٩ ص ٣ .

له أيضا ، والكشاف للزمخشري ، وزاد المسير لابن الجوزي الى جانب الكتب التي ألفت في فن القراءات سرداً أو احتجاجاً كالحجة لأبي علي ، وكالتبصرة والكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) والتيسير للداني (٤٤٤ هـ) والموضح لمذاهب القراء في الفتح ثم كتب المحتسب لابن جني (ت ٤٩٢ هـ) في الاحتجاج كشواذ من القراءات .

والكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي ت ٤٧٦ هـ .
والمبهج لسبط الخياط البغدادي (ت ٥٤١ هـ) .

وجمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) .
والبحر المحيط لأبي حيان (ت ٧٥٤ هـ) ؛

والنشر لابن الجزري (٨٣٢ هـ) ؛
والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ؛

وهذه المؤلفات لمجرد التمثيل لا

يعين ويحدد القارئ من كل مصر من هذه الأمصار .

فيقول : « واختلفوا في قوله » فدية طعام مسكين في الإضافة والتنوين والتوحيد والجمع .

فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو ووحمة والكسائي : فدية طعام مسكين : (فدية)
منون : (طعام مسكين) موحد .

وقرأ نافع وابن عامر^(١) : فدية طعام مسكين . (فدية) مضاف (ومساكين) جمع .

ويلاحظ أن القراء الذين عينهم ابن مجاهد في هذا النص ليسوا هم القراء الذين ربما عينهم الطبري في تفسيره عند تعرض كل لقراء ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ .

وقد أخذ اسم ابن مجاهد يبرز في الدراسات القرآنية ، كما أخذت أسماء سبعة القراء تذكر هنا وهناك في كتب التفسير والقراءات والإعراب انظر مثلاً : إعراب القرآن للنحاس ، والقطع والائتناف

(١) أي من رواية ابن ذكوان انظر التيسير ص ٧٩ .

أولاً : أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)
وأبو بكر بن مجاهد

أشار أبو جعفر النحاس في مقدمة كتابه
« القطع والائتناف » إلى الكتب التي
سينقل عنها في هذا الباب (١) .

ومن اليسير أن نتعرف آراء ابن مجاهد
في « الوقف والابتداء » بمطالعنا
كتاب أبي جعفر النحاس في هذا
الموضوع ، فقد تردد ذكر ابن مجاهد في
كتاب « القطع والائتناف » أكثر من مائة
وخمسين موضعاً (٢) . . إلى جانب ما نقل
عنه من الثراءات . وكان تغليط ابن مجاهد
فيما رأى من وقوف هو الأعم الأغلب ،
ومن القليل النادر حكم النحاس على رأي ابن
مجاهد بأنه صواب .

(أ) فمن أمثلة تغليط النحاس لابن
مجاهد (٣) الوقف على « مثلاً » في قوله
تعالى ﴿ إِنْ اللَّه لَا يَسْتَحْي أَنْ يَضْرِبَ
مَثَلًا ﴾ (٤)

قال النحاس : هذا تمام عند أحمد بن

للخضر . . وحسبي وحسبكم أن تنظروا
فهارس كتب القراءت فسوف نجد رصيذاً
ضخماً منها هو فيما أرى من عمل ابن
مجاهد أو حوله يدور . وإن كان ابن مجاهد
يلج في صدر كتابه السبعة (ص ٤٥ وما
بعدها) وكتابه في الموقف والابتداء
(القطع والائتناف ص ٩٤) بضرورة علم
النحو ووجوه الإعراب ومعرفة اللغات
لعالم القراءات إذ كان ذلك - فإن رسوخه
في الرواية كان أعمق من تمكنه في
العربية ، وقد كانت هذه الظاهرة وسيلة
لتعقبه من أبي جعفر النحاس وابن جني . .
الأول في كتابه القطع والائتناف ، والآخر
في كتابه المحتسب في تبين وجوه
القراءات الشواذ والاحتجاج لها .

وسأعالج فيما يلي موقف كل من أبي
جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) وابن جني
(٣٩٢ هـ) من ابن مجاهد .

وفيما يلي من حديث تجلية لما كان لابن
مجاهد من مكانة في الدراسات القرآنية
واللغوية :

(١) ص : ٣٩ . المصدر نفسه ص ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦ .

(٣) القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ص ٨٨٧ .

(ج) - ويواجهه بما في الآية من قراءات يجوز البعض أوجهها ابن مجاهد (٤)

قال أحمد بن موسى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (سورة الأنعام ٥٤) تمام ثم قال جل ثناؤه ﴿انه من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾ قال أبو جعفر: هذا تبين نذكر ما فيه من القراءات، قرأ مجاهد وأهل مكة وأبو عمرو والأعمش وحزمة والكسائي: ﴿انه من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾، ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم. (سورة الأنعام ٥٤) بكسر الهمزة فيها.. وفي رواية عن هارون عن أسيد عن الأعرج: انه قرأ: «انه» بكسر الهمزة، فإنه بفتحها: وقرأ أبو جعفر ونافع «انه» بفتح الهمزة، «فانه» بكسرهما، وقرأ الحسن وعاصم: «انه فانه» بفتحهما. قال أبو جعفر: التمام على القراءة الأولى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ «إن جعلت» إن «مبتدأ» وإن قدرت يعني «كتبت» بمعنى «قال» لم تقف على الرحمة. وكذلك القراءة الثانية: والقراءة

موسى، وقال أحمد بن جعفر: لو وقف واقف على ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما﴾ جاز وكان حسناً وقال الأخفش: إن شئت وقفت: ﴿مثلاً ما بعوضة﴾ قال أبو حاتم، والتمام ﴿فما فوقها﴾. قال أبو جعفر: هذا أصح الأقوال، وأما أن تقف على «مثلاً» فخطأ: لأن «ما» إن كانت زائدة للتوكيد فلا يتدأ بها، وإن كانت بمعنى «الذي» ورفعت بعوضة فهي بدل من مثل، وكذا إن كانت نكرة (١).

(ب) ويواجه النحاس ابن مجاهد بأقوال النحاة: قال أحمد بن موسى: ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة تمام (٢) ثم قال الله (جل وعز) ﴿سنين﴾. قال أبو جعفر النحاس: وهذا غلط على قول النحويين، لأن قول الكسائي والفراء إن المعنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة وعلى قول البصريين ان «سنين» بدل من ثلاث أو من «مائة» لأن «مائة» بمعنى «مئين» (٣).

(٣) انظر القطع والانتاف في حديثه عن هذه الآية.

(٤) ص ٣٠٥.

(١) المصدر نفسه ص ٤٤٦.

(٢) سورة الكهف آية ٢٥.

هذا ، ومن امثلة موافقة أبي جعفر على ما يرى أبو بكر من الوقوف دون تعقيب ما جاء في سورة حم عسق^(٣) . ولأضرب مثلاً واحداً يختصر الاستشهاد بهذه الظاهرة ، ثم أدل على نصوص من كتاب القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس - يرجع إلى صفحاتها من أراد .

قال احمد بن موسى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾^(٤) تمام . وكذا روى عن نافع ﴿ وكُلًّا آتينا حكما وعِلْمًا ﴾^(٥) تمام عند احمد بن موسى وابن حاتم^(٦) .

ثانياً - ابن جني (٣٩٢هـ) وأبو بكر احمد ابن موسى بن مجاهد :

اتصال ابن جني بأبي بكر احمد بن موسى بن مجاهد ذو ثلاث شعب :

فنسبه العلمي يمتد الى أبي بكر بن مجاهد حيث « كان استاذاً لأبي علي »^(٦) ، شيخ ابن جني ، فابن جني بذلك يعد

الثالثة لا تقف فيها على الرحمة أيضاً ، لأن « ان » بدل منها . وكذا القراءة الرابعة والتمام غفور رحيم^(١)

هذا قليل من كثير ، وليس سييلي هنا استقصاء هذه الأحوال وتبويبها أو تصنيفها ، فلذلك مكان آخر غير هذا المقال . وانما أردت أن أشير إلى ما يدل على أثر ابن مجاهد في الدراسات القرآنية بعد ان سبَّع السبعة ، وكتب الشواذ والتمام من الآيات .

ثم أنتم هؤلاء ترون أبا جعفر النحاس في النص الأخير ينسب القراءات الى أصحابها وهو أمر استظهرته وقررت أنه أخذ يظهر بعد أن سبَّع ابن مجاهد السبعة فهو يستشهد على مكان الوقف التام في الآية بقراءات مجاهد وأهل مكة وأبي عمرو والأعمش وحزمة والكسائي ، وأبي جعفر ونافع والحسن وعاصم - وهو نص له أشباه كثيرة في نسبة القراءات الى أصحابها^(٢) .

(٥) سورة الأنبياء ٧٩ .

(٦) القطع والائتناف ص ٤٧٧ وانظر صفحات

٤٢٨ ، ٤٤٤ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ .

(٧) طبقات القراء ١/ ٢٠٧ .

(١) انظر حديثه عن الآية من سورة الانعام .

(٢) انظر مثلاً ص ٤٢٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٥٢٢ .

٥٦٥ ، وما بعدها وامكن اخرى .

(٣) ص ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ .

(٤) سورة الأنبياء ٧٩ .

الحفيد العلمي لأبي بكر بن مجاهد .
ثم احتججه لكتاب ابن مجاهد الذي
وضعه لذكر الشواذ من القراءة ، وقد اعتمد
عليه ابن جني كما اعتمد على كتابي أبي
حاتم السجستاني ، وأبي علي المستنير
« قطرب » . . . غير أنه وثق كتاب ابن
مجاهد إذ جعله أثبت في النفس من كثير من
الشواذ المحكية عن من ليست له روايته ولا
توفيقه ، ولا هدايته^(١) . وأخيراً كان من
مصادر ابن جني في كتابه المحتسب :
معاني القرآن للفراء ، أخبره به أبو علي
الفارسي وقد سمعه الفارسي من ابن
مجاهد^(٢) .

ويبدو أن ابن مجاهد كانت له تعليقات
على القراءات الشاذة من حيث الميزان
الصرفي أو التوجيه الاعرابي ، أو التفسير
اللغوي . صحيح كانت قدم ابن مجاهد
راسخة في الصناعة الصرفية والنحوية
واللغوية ولكنها ليست راسخة في ذلك
رسوخها عند ابن جني ، فقد وقف ابن
مجاهد موافق كانت باعثة لابن جني على

التعقيب والتعليق والذي يقرأ كتاب
المحتسب يجد أن ابن جني قد اعترف لابن
مجاهد في ناحية تخصصه ، فابن جني
يوثق ابن مجاهد ، ويعتد به فيما هو متصل
بالقراءات وروايتها ، ويعترف بتوفيقه
وهدايته في ذلك^(٣) .

ويقابل اعتداد ابن جني بابن مجاهد
فيما هو خاص بالنقل والرواية - مخالفته له
في بعض ما هو متصل بالصناعة والتأويل
والدراية . . . وذلك إذا ما تعرض ابن
مجاهد لشيء من اللغة أو النحو أو الصرف
أو الإعراب ، عند ذلك يتعقبه ابن جني في
عنف حيناً ، وفي اعتذار من خطئه حيناً
وموافقة على ما رأى في بعض الأحيان . .
وأسوق أمثلة تشير في إجمال إلى جانب من
هذه الجوانب :

(أ) يتعقب ابن مجاهد في اللغة في نقله
عن ابن الاعرابي أن الضحك هو الحيض
في قراءة محمد بن زياد الاعرابي
« فضحكت » فتحاً^(٤) .

قال أبو الفتح : روى ابن مجاهد قال :

(٤) من قوله تعالى : ﴿ وامرأته قائمة فضحكت ﴾ سورة
هود ٧٠ .

(١) المحتسب لابن جني ٣٥/١ ٢٠٧/١ .

(٢) المحتسب لابن جني ٣٦ / ١ .

(٣) المحتسب ٣٠٤ / ١

- قال أبو عبد الله بن الإعرابي : الضحك هو الحيز وأنشد :
- ضحك الأرناب فوق الصفا
مثل دم الجوف يوم اللقا
- ثم أورد ابن جني قول محمد بن الحسن : قلت لأبي حاتم في قوله :
- « تضحك الضبع لقتلى هذيل »
- قال : ومن أين لهم أن الضبع تحيض ؟ وقال : يا بني : انما تكشر للقتلى اذا رأتهن .
- كما قالوا : يضحك العير اذا انتزع الصليانة^(١) .
- ويقال في : « تضحك الضبع لقتلى هذيل » :
- أي تستبشر لقتلاهم لتأكلهم ، فيهر بعضها على بعض ، فجعله ضحكا .
- « وترى الذئب لها يستهل »
- أي يعوي ، فيستدعي الذئاب فرحاً بذلك^(٢) .
- (ب) ويتعقبه في ميزان صرفي :
- روى ابن مجاهد عن أبي عمرو ﴿ وآيدناه ﴾^(٣) .
- قال ابن مجاهد :
- ممدودة الألف خفيفة الياء .
- وقد روى عن مجاهد في قوله ﴿ إذا آيدتك ﴾^(٤) . قال ابن مجاهد : على فاعلتك .
- قال ابن جني - معقّباً على قول ابن مجاهد : -
- هذا الذي توهمه ابن مجاهد أن آيدتك فاعلتك - لا وجه له ، وإنما آيدتك أفعلتك ، من الأيد ، وهو القوة .
- ثم أخذ يدلل على هذه القضية وانتهى الى أن قال : فقد ثبت إن قراءة مجاهد ﴿ إذا آيدتك ﴾ إنما هو أفعلتك ، لا فاعلتك كما ظن ابن مجاهد^(٥) .
- (ج) ويتعقبه في الإعراب :
- في رواية الحلواني عن قالون عن شيبه أو آوي^(٦) بفتح الياء . قال ابن مجاهد ولا يجوز تحريك الياء ها هنا . قال أبو الفتح (ابن جني) هذا الذي أنكره ابن مجاهد

(١) يقرأ التدليل بتمامه في المحتسب ١/٩٥ وما بعدها .

(٢) من قوله تعالى في سورة هود ﴿ قال لو ان لي بكم قوة أو

آوي الى ركن شديد ﴾ آية ٧٩ .

(٣) الصليانة مفرد الصليان وهو نبت .

(٤) المحتسب ١/٣٢٤ .

(٥) سورة البقرة ٨٧ . (٦) سورة المائدة ١١٠ .

الجحدري وإله أبيك^(٢) بالتوحيد^(٣) . .

فتعقبه ابن جني مقررًا ان قول ابن مجاهد بالتوحيد لا وجه له . فليست « أبيك » هنا واحداً ، ولكنه جمع كقراءة الجماعة : ﴿ وإله آبائك ﴾ فهو جمع « أب » على الصحة - على قولك للجماعة : هؤلاء أبوك أحرار أي آباء أحرار . . . وقد اتسع ذلك عنهم ومن أبيات الكتاب :

فلما تبينَّ أصواتنا
بكينَ وفدَّينا بالأبين^(٤)

وقال أبوطالب :

ألم تر أني بعدهم هممتُ
لفرقه حرًّا من أبين كرام^(٥)

وقال الآخر :

فَهُوَ يُفَدِّي بِالْأَبِينِ وَالْخَالِ^(٦) .

ثم قال ابن جني مواصلاً تعقيبَه على ابن مجاهد : « ويؤكد أن المراد به^(٧) الجماعة

عندي سائغ جائز ، وهو أن تعطف (أوي) على (قوة) فكأنه قال : لو أن لي بكم قوة أو أويًا إلى ركن شديد . . فإذا صرت إلى اعتقاد المصدر فقد وجب اضممار أن ونصب الفعل بها ، ومثله قول ميسون بنت بحدل الكلبيَّة :

لبس عباءة وتقرَّ عيني
أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف
فكأنها قالت : للبس عباءة وأن تقرَّ عيني أي لأنَّ البس عباءة وتقرَّ عيني أحبُّ إلي من كذا ، وعليه بيت الكتاب أيضاً :

فلولا رجال من رزام أعزة
وآل سبيع أو أسوءك علقما
أي : أو إن أسوءك فكأنه قال : أو مساءتي إياك ، وكذلك هذه القراءة ، لو أن لي بكم قوة أو أويًا أي : أو أن أوي إلى ركن شديد . وهذا واضح^(١) .

(د) - قال ابن مجاهد : قرأ ابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر وعاصم

(٥) الخزائن ٢/ ٢٧٥ .

(٦) انظر اللسان : (أبي)

(٧) يريد : « أبيك » من قوله تعالى : ﴿ وإله أبيك ﴾ .

(١) المحتسب ١/ ٣٢٧ .

(٢) المصدر السابق ١/ ١١٢ -

(٣) البقرة : ١٣٣ . (٤) الكتاب ٢/ ١٠١ .

بقولهم : « قنية » ، وهي من قنوت ، و « صبية » وهي من « صبوت » ، وعلية وهي من « علوت » وفلان « قدية » في هذا الأمر وهو من القدوة . وأصله كله قنو ، وصبوة ، وعلوة فقلبت الواو في ذلك كله للكسرة قبلها ، ولم يعتد الساكن بينهما حاجزاً لضعفه ، فكأن الكسرة تباشر الواو فتقلبها لذلك ياء ، كما تقلبها لو لم تجد بينهما حاجزاً . فكذلك الهمزة في « أنبيهم » لا تحجز على هذا النحو الذي ذكرناه (٢) . فقد علمت بذلك أن قول ابن مجاهد ، « هذا لا يجوز » - لا وجه له .

وختم ابن جني كلامه معتذراً من خطأ ابن مجاهد بما يعد أصلاً في تعليل موقفه منه فيما هو متصل بالصناعة النحوية أو الصرفية أو اللغوية . وذلك إذ يقول أبو الفتح : « ورحم الله أبا بكر - يعني ابن مجاهد - فانه لم يأل فيما علمه نصحاً ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يره الله

ما جاء بعده من قوله : ﴿ ابراهيم واسماعيل واسحق ﴾ فأبدل الجماعة من أبيك فهو جماعة لا محالة ، لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل ، فيصير قوله تعالى : ﴿ وإله أبيك ﴾ كقوله « وإله ذويك » هذا هو الوجه ، وعليه فليكن العمل .

(هـ) ويتعقب ابن جني أبا بكر بن مجاهد بما هو أصل من أصول العربية : « الساكن ليس بحاجز حصين » وذلك فيما روى عن ابن عامر ﴿ أنبيهم ﴾ (١) بهمز وكسر الهاء . فقال ابن مجاهد : « وهذا لا يجوز » .

وقد قال ابن جني في تخريج قراءة ابن عامر : أنبيهم - « إن هذه الهمزة ساكنة ، والساكن ليس بحاجز حصين عندهم ، فكأنه لا همزة هناك أصلاً ، وكأن كسرة الباء على هذا مجاورة للهاء ، فلذلك كسرت . فكأنه على هذا قال : « أنبيهم » .

ومضى ابن جني يدل على ضعف الساكن أن يكون حاجزاً حصيناً فاستشهد

(٢) المحتسب ج ١ ص ٧٠ .

(١) من قوله تعالى : ﴿ قال يا آدم أنبيهم باسمائهم ﴾ سورة البقرة : ٣٣ .

تعالى إياه ، وسبحان قاسم الأرزاق بين عباده ، وإياه نسأل عصمة وتوفيقاً وسداداً يفضلهُ» (١) .

وبهذه القولة الأخيرة يلخص ابن جني موقفه من ابن مجاهد ويعترف بما له من فضل في ناحية تخصصه ، ويعتذر مما كان منه من مجانبة للصواب .

ويقرر في شكر يشبه الزُّهْوَنُعمَة الله عليه بفقهِ العربيَّة ، وبَصْرٍ بأسرارها (٢) .

وكلمة أخيرة في بيان مكانة ابن مجاهد في القراءات وأثر تسبيعه السبعة : تلکم ظاهرة الجمع بين الروايات ؛ فلم يكن في الصدر الأول حتى عصر ابن مجاهد هذا الجمع المتعارف في زماننا بل كانوا لاهتمامهم بالخير وعكوفهم عليه يقرأون على الشيخ الواحد العدة من الروايات ، والكثير من القراءات ، كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى رواية ، واستمر العمل على ذلك الى أثناء المائة الخامسة عصر الداني (٤٤٤هـ) ومكي (٤٣٧هـ) والأهوازي وغيرهم فمن ذلك الوقت ظهر

جمع القراءات في الختمة الواحدة واستمر عليه العمل الى هذا الزمان . . . (٣) .

وأحسب ان السبب في ظاهرة الجمع بين الروايات هو تعيين ابن مجاهد راويين لكل قارئ من السبعة وأخذ القارئ من بعده باختياره . . فكان من الطَّبِيعِيَّ أن تبدوَ هذه الظاهرة . والله أعلم .

وبعد ، فتحقيق السَّنة التي سَبَّعَ فيها ابن مجاهد السبعة ينفي تَهْمَةً لحقت سبويه ، ومن لف لَفَهُ ، هذه التهمة هي أن سبويه طَعَنَ في قراءة سبعية !! ، وإمام النحاة - علم الله - برىء من الطعن في سبعية براءة الشمس من اللمس ؛ فالقراءات لم تسبَّعْ إلَّا بعد موت سبويه بقرن وربع قرن من الزمان . . وقد يتاح لي فرصة في مقال تال وفي دراسة بريئة من التعصب والعصبة أدفع فيها عن النحاة ، وأردّ عنهم غائلة تهجمهم على القراءات ، وهم منها برآء . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الدكتور عبد الفتاح شليبي

(٣) غيث النفع في القراءات السبع للمصفاقي على هامش سراج القارئ المبتدئ لابن القاصح ص : ٨ .

(١) المصدر نفسه ص ٧١ .

(٢) أبو علي الفارسي ص ٣٧٩ .